

البداية والنهاية

إلا كنتم أتباعه وأنصاره يا أهل العراق ألم تنفعكم المواعظ ألم تزرركم الوقائع ألم يشدد اﻻ عليكم وطأته ويزدكم حرسيفه وأليم بأسه ومثلاته ثم التفت إلى أهل الشام فقال يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنه القذر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذباب يا أهل الشام أنتم الجنة والبرد وأنتم الملاءة والجلد أنتم الأولياء والأنصار والشعار والدثار بكم يذب عن البيضة والحودة وبكم ترمي كتائب الأعداء ويهزم من عاند وتولى .

قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسين حدثنا عبيد اﻻ بن محمد التميمي سمعت شيخا من قريش يكنى أبا بكر التيمي قال كان الحجاج يقول في خطبته وكان لسنا إن اﻻ خلف آدم وذريته من الأرض فأمشاهم على طهرها فأكلوا ثمارها وشربوا أنهارها وهتكوها بالمساحى والمرور ثم أدال اﻻ الأرض منهم فردهم إليها فأكلت لحومهم كما أكلوا ثمارها وشربت دماهم كما شربوا أنهارها وقطعتهم في جوفها وفرقت أوصالهم كما هتكوها بالمساحى والمرور . ومما رواه غير واحد عن الحجاج أنه قال في خطبته في المواعظ الرجل وكلكم ذاك الرجل رجل خطم نفسه وزمها فقادها بخطامها إلى طاعة اﻻ وكفها بزمامها عن معاصي اﻻ رحم اﻻ امرءا رد نفسه امرءا اتهم نفسه امرءا اتخذ نفسه عدوة امرءا حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره امرءا نظر إلى ميزانه امرءا نظر إلى حسابه امرءا وزن عمله امرءا فكر فيما يقرأ غدا في صحيفته ويراه في ميزانه وكان عند قلبه زاجرا وعند همه آمرأ امرءا أخذ بعنان عمله كما يأخذ بعنان جملة فإن قاده إلى طاعة اﻻ تبعه وإن قاده إلى معصية اﻻ كف امرءا عقل عن اﻻ أمره امرءا فاق واستفاق وابغض المعاصي والنفاق وكان إلى ما عند اﻻ بالأشواق فما زال يقول امرءا امرءا حتى بكى مالك بن دينار .

وقال المدائني عن عوانه بن الحكم قال قال الشعبي سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبقه إليه أحد يقول أما بعد فإن اﻻ تعالى كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الأجل وقال المدائني عن أبي عبد اﻻ الثقفي عن عمه قال سمعت الحسن البصري يقول وقذنتي كلمة سمعتها من الحجاج سمعته يقول على هذه الأعواد إن امرءا ذهب ساعة من عمره في غير ما خلق له لحرى أن تطول عليها حسرته إلى يوم القيامة وقال شريك القاضي عن عبد الملك بن عمير قال قال الحجاج يوما من كان له بلاء أعطيناه على قدره فقام رجل فقال

